د. التار ولد عبد الله

مستشار أسري - دائرة القضاء بأبوظبي

الإعلام واللغة..التأثير والتأثر

المقدمة:

الإعلام واللغة صنوان، يكمل كلاهما الآخر، ويستمدان ألقهما وجاذبيتهما من مشكاة واحدة تأثيرا وتأثرا، فبالأول يتم ترصيع الجسر وتنمحي الحواجز، ومع الثانية يكون تجويد الموضوع وصقل الأفكار، باعتبار اللغة أداة التواصل بين الناس –أفرادا وجماعات- ورمزا مهما لهوية الأمة، فسلامتها تحمي فكرة التواصل، وتعين على تخيل الفكرة ووضوح الصورة، وبالتالي الوصول إلى الإقناع والتأثير الذي ينشده الإعلام الجاد.

وتعد اللغة العربية أقدم اللغات المكتوبة، وقد حافظت على وجودها، وانتشرت مع توسع رقعة الإسلام متبوئة الصدارة في مختلف صنوف المعرفة، مستوعبة حضارات الأمم وثقافاتهم تعديلا وابتكارا وتجديدا، بسبب اتساعها للتعبير عن التجارب والمعارف و الخبرات الماضية و الآمال المستقبلية، ولذلك كانت أحد أهم أركان هويتنا. باعتبارها معجزة الله الكبرى في كتابه العزيز، وقد اتخذت اللغة العربية قدسية وثباتًا، بسبب نزول الوحي بها حتى لم يعد يقبل أى تغيير في بنيتها ومسلماتها.

وتفاعل سلطة الإعلام معها اليوم يحتاج إلى استراتيجية واعية، وتلاحم بين المفهومين . لترسيخ جدلية التأثير والتأثر.

فالإعلام يتأثر بما يسري في المجتمع وينعكس عليه، ويؤثر في الوقت ذاته في حركية المجتمع وديناميته، إن هو اكتسى لبوس الفصاحة وتجمل ببيان اللغة وبلاغتها.

وتظل اللغة العربية أحد العناصر الرئيسية المشكلة للمنظومة الإعلامية، فهي تمثل الدور الأول في كل مجالات الاتصال، وتعمل على تطوير أداء الإعلاميين وتحسين مستوياتهم، ليكون

لرسالتهم تأثير ولأثرهم فاعلية. فالعلاقة بين الاثنين علاقة اندماج وانصهار تجعل من كل منهما متكأ للآخر وهدفا له في الوقت نفسه.

والواقع أن دراسة جدلية التأثير والتأثر بين اللغة والإعلام جدلية معقدة تحتاج دراستها لمعالجة الموضوع من جوانب عديدة يتداخل فيها السياسي بالاجتماعي والفني بالعاطفي والنظري بالعملي، غير أننا ولاعتبارات منهجية وأخرى عملية سنقتصر في هذه الورقة على محاور أربعة ارتأينا أنها الأولى بالتقديم والأجدر بالتقويم، وهي المحاور الآتية:

ـ تشخيص الحالة.

ـ أثر اللغة في توصيل الرسالة الإعلامية.

ـ الإعلام تأثير وصناعة.

ـ آفاق ومستقبل اللغة في الخطاب الإعلامي الحديث.

أولا: تشخيص الحالة

عرف الإعلام تغييرات نوعية خلال العقد الأخير من القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، نتيجة التطور التقني والانفجار التكنلوجي اللذين حولا العمل الإعلامي إلى فضاء مفتوح يتدفق فيه سيل من المعلومات والأخبار التي لا تعترف بالحدود ولا تلتزم بالخصوصية.

وإذا كان الإعلام قد أثر في كثير من الجوانب الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في المجتمعات العربية، فإن تأثيره في اللغة العربية كان أعمق وأظهر، وذلك بسبب تضافر عوامل عديدة منها ما هو سياسي اجتماعي، ومنها ما هو ثقافي تكويني، فعلى سبيل المثال لا

الحصر، فإن من أهم الأسباب التي أثرت تأثيرا سلبيا على واقع اللغة في الإعلام العربي الأمور الآتية:

1 – تدني المستوى التكويني للفرد العربي بصفة عامة مقارنة بواقعه قبل ثلاثة عقود أو أربعة مضت، ذلك أن العالم العربي وإن شهد تطورا ملحوظا ونقلة نوعية على مستوى الحد من الأمية واتساع دائرة التعليم والتمدرس، إلا أن ذلك التطور كان مصاحبا أيضا بنكوص ملحوظ على مستوى المخرجات والثمار المقطوفة، أو بعبارة أخرى إنه كان تطورا كميا أكثر منه تطورا كيفيا.

2 – فشو استعمال العامية وتداولها بكثرة في الصحافة، خاصة في البرامج الحوارية والأخبار الرياضية والفنية.

3 – ضعف الترجمة وكثرة الاقتباس من اللغات الأجنبية لدى الصحفيين والإعلاميين بصفة عامة.

حيث أننا وبسبب التبعية الثقافية والولع بتقليد الغالب، كما يصوره ابن خلدون، أصبحنا نستخدم العبارات والمصطلحات بدون تمحيص ولا ميزان صرف ولا عروض.

4 – الجهل بقواعد الإملاء والنحو والصرف بصورة كبيرة، كعدم التمييز بين همزة الوصل وهمزة القطع، وكتابة الهمزة المتوسطة والأخيرة بدون مراعاة لقواعد ولا ضوابط معينة، وعدم مراعاة ميزان الصرف عند صياغة بعض الأفعال، مثل قولهم: دعيت لدعوت، والهاديون بدل الهادون، ومصانا بدلا من مصون، والخطإ في ضبط عين الفعل الثلاثي مثل قولهم في الماضي: يملُك بضم اللام، بدلا من يملك بكسرها، وحصل بضم الصاد، بدلا من حصل بفتحها، وثبت بضم الباء بدلا من فتحها، وكالخطإ في الاشتقاق كقولهم: معاب، بدلا من معيب، وملام بدلا من ملوم، والملفت للنظر بدلا من اللافت للنظر، وكنصب المرفوع وجر المنصوب، بالإضافة إلى كثرة الأخطاء اللغوية الشائعة، ككتابة الدال ذالا، والظاء ضادا، والثاء سينا، وكالجهل أيضا بمعاني الأدوات والحروف العربية، كـ: في، وعلى، وإذا وإن ولم ولما...

5 – الضعف الحضاري والثقافي الذي تعيشه الأمة بصفة عامة، باعتبار أن اللغة ليست وسيلة للتخاطب فحسب، وإنما هي كذلك فكر وثقافة وتاريخ وتراث، وبالتأكيد أن أي خلل في جانب من تلك الجوانب سيكون له وقعه وأثره على باقي الجوانب الأخرى.

وبالتوقف مع الحالة الراهنة لإعلامنا العربي وما يتسم به من حضور ومنافسة، فإن الطموح يظل مشروعا، والحاجة إلى التطوير من حيث الخطاب والتحرير وترشيد التشريعات والسياسات الإعلامية، تبقى مسألة حاضرة وملحة.

ذلك أنه ورغم تربع القنوات الفضائية العربية والمواقع الإخبارية والصحف والمجلات اللإكترونية على المشهد الإعلامي المعاصر، كبديل عن وسائل الإعلام التقليدية من إذاعة، وراديو، وصحافة مكتوبة، ورغم التسليم بالطفرة الملحوظة للإعلام فإننا بإلقاء نظرة على واقعه، يتبين أن هناك بعض الخلل ونقاط الضعف، التي ربما لا تتعلق بمستوى الإعلاميين وضعف تأهيلهم بقدر ما تتأثر بالوضع الإجتماعي والثقافي والسياسي للمجتمعات العربية، وتحاول هذه الورقة الإجابة على بعض الإشكالات المطروحة في الحقل الإعلامي باعتبار الصراع تحول إلى "حرب الكلمة"، والكلمة هنا تؤشر على اللغة والقيمة المعنوية لرسالة الإعلامي، بعيدا عن فقر الخطاب ونمطية الصورة، وسيطرة "النزعة المادية" ـ البعد التجاري.

وبناء عليه، فما هي العلاقة الجدلية بين الإعلام واللغة؟ وكيف يمكن إعداد منظومة إعلامية تستطيع أن تواجه التحدي، وتتصدى للتنافس على مستوى الكلمة والصوت والصورة؟ وهل هناك استراتيجية لتشكيل منطلقات علمية لإعلام جاد حاضر بخصوصيته وبعده المعرفي؟

وهل يفقد الإعلامي ألقه ونجوميته لدى المتلقي عندما يقع في "مطبة" اللحن وعثرة اللسان، أم تشفع له علائق أخرى؟.

مما لا شك فيه أن اللغة أي لغة تسود وتلقى رواجها بانتصار حضارتها أو ثقافتها، وتندثر وتنحسر بهزيمتها. ولذا "فإن الدلالة اللغوية هي دلالة معرفية فكرية وانفعالية عاطفية في الوقت ذاته، فهي خلاصة تعبيرية وصفية لمختلف تجليات الواقع وأبعاده الإنسانية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية بل والحضارية بصفة عامة.

إن اللغة بهذا المعنى هي الرباط الذي يتحقق به الوعي الذاتي بالخبرات العامة، ويتوفر به التواصل والتناسخ والترابط المجتمعي والإنساني، على أن اللغة ليست مجرد أداة أو وسيلة للتعبير، أو للتواصل أو مجرد شكل لموضوع، أو مجرد وعاء خارجي لفكرة أو لعاطفة، أو لقيمة أو إشارة إلى فعل، بقدر ما هي غاية في ذاتها أيضا". كما يقول الأستاذ محمود أمين (1)

وعلاقة اللغة بالتواصل والتأثير والتأثر علاقة وثيقة، والتواصل كطريقة قد لا يخلو من ثغرات، نكتشفها ونعيد تقييمها بالكلمات اللغوية، التي تعنى بالمقاصد والتحليل والتفسير.

بسبب كون اللغة تجمع بين الوظيفة الاستكشافية في المحيط، والوظيفة التخيلية كالإنتاج و الأحاسيس إلى جانب الوظيفة الإخبارية كنقل المعلومات أيضا.

---

1 ـ محمود أمين العالم ـ لغتنا العربية في معركة الحضارة ـ سلسلة قضايا فكرية ـ القاهرة ـ بدون ت و ط ـ ص 9

" والواقع أن تأثير اللغة يتجاهل في ظل مبدإ الإشعاع العاطفي الذي اتخذه الوضعيون متكأ للهجوم على الشعر، إن فكرة تأثير اللغة لا تتضح إذا اقتصرنا في الشرح على مجرد مطلب تعليمي يسير، يحوجنا إلى الاستبدال ،أو بعبارة أخرى فإننا ننكر تأثير اللغة إذا أصررنا في أعماقنا على التعامل مع موقف سطحي، فإذا كان الموقف جادا أو متعمقا بدا لنا ما نقصده بتأثير اللغة". (2)

ولعل ذلك ما عناه تقرير التنمية الإنسانية العربية الثاني الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي عام 2003، حينما أشار إلى ضعف البيئة الإعلامية المحفزة إلى اكتساب المعرفة في المجتمعات العربية.

ثانيا:أثر اللغة في توصيل الرسالة الإعلامية

تلعب اللغة دورا كبيرا في عملية التأثير على المتلقي، ونظرا لما تكتسيه من أهمية في جذب المشاهد والمستمع والقارئ، عدت ركنا ركينا في وسائل الإعلام، عند الاتصال مع الجمهور، لما تشتمل عليه من بيان وأدب يشد المتلقي ويكرس جانب الدعاية والتأثير الذي ينشده الإعلام.

إذ أن اللغة تساعد وسائل الاتصال الجماهيري في خدمة قضية التقارب البشري، فهي تمنح تلك الوسائل إمكانية القيام بمختلف الوظائف الاجتماعية معرفية كانت أو ثقافية، أو حتى جمالية، وغيرها من تلك الوظائف.(3)

---

2 ـ د . مصطفى ناصف ـ اللغة والتفسير والتواصل ـ عالم المعرفة ـ الكويت 1995، بدون ط ـ ص 31

3 ـ انظر: الدكتور فائز الصائغ ـ اللغة والتعريب ودور الإعلام ـ دار مجلة الثقافة ـ دمشق ـ 1992 بدون ط ـ ص 33

وباستحضار الحقيقة التي مفادها أن الإعلام جزء من التفاعل والصراع الحضاري الذي يعيشه العالم نتيجة ثورة الاتصالات التي قلصت المسافات ومحت الحدود، فإن نزوع بعض الاستراتيجيات إلى التأثير به والسيطرة على النمط التفكيري للبشر أمر لم يعد ينطلي على أحد، وهو ما يستدعي إعطاء نموذج مغاير في الإعلام العربي يثمر التجربة، ويفيد الرأي العام دون استلاب ولا ميوعة.

ذلك "أن الإعلام لم يعد وسيلة ورسالة فقط...إنه فكر منظم يهدف إلى تحديد المفاهيم والنظم الاجتماعية وتشكيل السلوك". (4)

ورغم توفر الكثير من المقومات والعوامل التي من شأنها أن تدفع بالبيئة الإعلامية في الدول العربية إلى النهوض والثراء، كالجغرافيا والدين واللغة والتراث الحضاري والثقافي، إلا أن غياب الرسالة الجادة وضعف التأطير الإعلامي، حالا دون ذلك وسببا للتجربة القصور، ليلحظ المتابع السقوط في وحل استهلاك الثقافة بدل الانتاج والإسهام من منطلق الخصوصية والتفاعل. فنجح "الآخر" في فرض ثقافته وغرس نظمه التعليمية في أوطاننا، مخترقا بذلك الثقافة العربية على جميع المستويات والأجيال، مستهدفا خلق نخبة من المثقفين والإعلاميين الذين تعلموا لغاته وانبهروا بتراثه العقلاني الليبرالي، مما أسفر عن ظهور أنساق جديدة للثقافة العربية التابعة لثقافة "الآخر" على حساب اللغة العربية والتراث الثقافي العربي". (5).

وتتجلى هذه الصورة أكثر في وسائل الإعلام اليوم، بضعف الإطار الإعلامي وغياب العمق في المضمون، لتكون العناية بالمظهر والصورة أكثر من الخطاب وجوهر الرسالة الإعلامية،

مما يستحيل معه عملية التأثير الإيجابي، وينصب الاهتمام على شكليات أخرى من قبيل التسلية وملء الفراغ.

---

4 ـ الإعلام وسيلة ورسالة ـ جون ميرل و رالف الوينشتاين ـ تعريب د. ساعد خضر العرابي الحارثي، دار المريخ للنشر ـ الرياض 1989 بدون ط ـ ص 4

5 ــ انظر: د. عواطف عبد الرحمن ـ الإعلام العربي في عصر العولمة الرأسمالية ــ دار العين للنشر ـ القاهرة ـ 2010 ـ ط 1 ص 21

يقول أنتوني سميث في كتابه –الذي صدر عام 1980 بعنوان الجغرافيا السياسية للإعلام، هكذا تسيطر ثقافة الغرب على العالم- "إن الإعلام هو مرتكز السيادة...وإن المنتجات الثقافية أشد فتكا في كيان الشعوب من المشروبات الغازية والهامبرجر، ولا ريب في أن الاستقلال القومي يستند الآن –أكثر من أي وقت مضى- إلى القدرة على اتخاذ قرارات مستقلة تتعلق بتداول الإعلام أو تداول الأفكار، ولذا اكتشفت شعوب كثيرة الآن أن السيادة والهوية القومية والاستقلال، لا تنشأ فقط بقرارات رسمية وإنما تنشأ أساسا من الظروف الثقافية والحياة الاقتصادية". (6)

ولما تراجع دور اللغة في جمال الخطاب الإعلامي وإقناع المتلقي به، تدنى الإعلام وطغى المظهر والشكل على البيان وترصيع الكلمات، فكانت النتيجة أن صار "المحتوى الإعلامي متخما بأشكال التسلية الغثة والهابطة أحيانا التي يتعاظم فيها الإمتاع الحسي والشكلي على حساب اكتساب المعرفة وتنمية العقل، وهو ما يؤدي إلى تبعات خطرة على عقل المتلقي العربي وقيمه، لا سيما أن تأثير الإعلام قد طغى على مؤسسات التنشئة المجتمعية والمعاهد التعليمية". (7)

ثالثا: الإعلام تأثير وصناعة

يأخذ الحديث عن الإعلام -في ضوء التصنيف المعرفي- شكلا مغايرا، باعتباره أقرب إلى الفن بعيدا عن التجريد العلمي، فهو يتناول الذوق والجمال وماهية الرأي مما يجعله ألصق بالفن، بخلاف العلم الذي مجاله أساسا في النظريات والقوانين والمعادلات.

ويهتم الإعلام في جزئه الأكبر بتتبع الحالات الثقافية والعوامل الاجتماعية والتوقف مع تجارب الإنسان في استراتيجية تنحت مفاهيم ناعمة، كالموضوعية وعدم التحيز والاستقلال والصدقية، ومتى اقتربت وسيلة الإعلام من هذه العناوين أو لامستها كانت عملية التأثير قوية وغاصت في الوجدان .

---

6 ـ الإعلام العربي في عصر المعلومات ـ مجموعة بحوث ـ مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ـ أبو ظبي 2006 ـ ط1 ـ ص161

7 ـ المصدر السابق ص 163

ولم يعد الإعلام يقتصر على الدور التقليدي من تغطية إخبارية وإيصال للمعلومات، والدفاع عن حق الفرد في المعرفة في وجه محتكري صناعة الخبر، وإنما أصبحت تناط به مهمات أخرى تتمثل أساسا في التأثير في عملية التغيير السياسي والاجتماعي.

والإعلام العربي ليس بمنئ عن ذلك، فله اشتراطاته أيضا النابعة من ظرفية التطور التاريخي الذي يمر به العرب، وهذا الظرفية ليست علمية ثقافية بقدر ما هي سياسية واقتصادية واجتماعية. (8)

فقد فرضت وسائل الإعلام والمعلوماتية الحديثة في التواصل الاجتماعي هيمنة شبه كاملة على البيوت وحياة الناس، حتى أضحت تأخذ دور وسائل التربية التقليدي الذي كان شائعا، وصار الإعلام يقوى بصورة مذهلة متمظهرا في أشكال تزداد جاذبية وقدرة في التأثير المباشر وغير المباشر، في كل شرائح المجتمع المعاصر.

(وفي عالمنا اليوم ـ عالم العولمة ـ لا مكان لألعاب العقل والروح والجدان الصافي، فعالمنا محكوم بهيمنة اللحظة الراهنة، وكل شيء يجب أن يحدث الآن وبسرعة متناهية، ذلك أن سمة العصر هي الاستعجال الدائم في كل شيء وتؤدي هذه السمة إلى ممارسة ظاهرة المختصر في الأخبار وفي النقاشات الفكرية وفي الإعلان وفي الصورة، وهو ما تمارسه على الأخص الوسائل الإعلامية السمعية والبصرية. والنتيجة المتمخضة عن ذلك هي التوغل في تبسيط القضايا المعقدة، واختزالها على الدوام في صورة عناوين مختصرة؛ وتنمية صفاة سلبية من

أهمها عدم الصبر الذي تتطلبه عملية اقتناء المعرفة وعدم ممارسة التأمل الضروري للدخول في أعماق أي حقية، على اعتبار أن التأمل لا يمكن أن يترعرع في أحضان إعلام ينشد جذب المتلقي إلى كل ما يعرض، ويصر على عدم إعطائه أي لحظة للتفكير والتدبر بسبب تجديده الدائم في العروض والمادة والكلمات والإيحاءات، لإحداث أكبر قدر من التأثير المباشر وغير المباشر، إنها عملية تصنيع جمهور فاقد للقدرة على ممارسة التفكير الهادئ الرصين). (9)

---

8 ـ المصدر السابق ص 123

9 ـ المصدر نفسه ــ ص 155

وكما في الغالب كان للتأثير صورته النمطية في الأذهان من رمزية وأسطورة أو حتى سياحة في كتاب أو نحت أو فن تشكيلي، فإن ثورة المعلوماتية وتأثير الإعلام غيرا نمط تفكير الناس.

لذا (فإن حقيقة اعتماد التلفزيون على الصور ـ وأكثرها حيوية ـ لم تجعله فقط وسيلة اتصال فعالة بل أداة فجة تميل إلى استثارة العواطف أكثر من العقول، وبالنسبة لصحافة التلفزيون فإن هذا يعني تركيزا خطيرا ومتصاعدا على الفعل العنيف والدامي عادة، أكثر من التركيز على الحقيقة، وعلى الأحداث أكثر من النتائج، وعلى الصدمات أكثر من تفسيرها، وعلى الشخصيات أكثر من المضمون). (10)

ويفقد الإعلام تأثيره حين يعلي قيمة الربح والمنفعة، مهدرا أدواره الحقيقية ليتحول إلى أدوات دعائية وتابعة، لا تولي الحقيقة ولا الرقابة أو تنوير المجتمعات والتعبير عن انشغالاته كبير اهتمام.

(ويؤكد المشهد الإعلامي العالمي الراهن على تسخير الإعلام الفضائي وشبكات المعلومات الدولية في ترويج الثقافة الاستهلاكية ذات الطابع التجاري، مستهدفين تزييف وعي الجماهير وإلهاءها وتهميش القضايا المصيرية والتحديات الحقيقة التي تواجه الشعوب). (11)

10 ـ الإعلام وسيلة ورسالة ـ مصدر سابق ـ ص 107

11 ـ الإعلام العربي في عصر العولمة الرأسمالية ـ مصدر سابق ـ ص 250

رابعا: آفاق ومستقبل اللغة في الخطاب الإعلامي الحديث:

مصداقية الأداء:

تظل الحاجة ماسة إلى دور أشمل للغة في وسائل الإعلام تتجاوز حدود الخطاب اللغوي السائد من قبل الإعلاميين، ومع الثورة في تقنية وسائل الإعلام التي أحدثت ضجة في البيئة الإعلامية، نلاحظ بحض القصور والعجز في الخطاب الإعلامي من حيث سلامته وما يعالج من أدوار، تفتقر لبلاغة الكلمة في اختصارها ودقة معانيها، وللإبداع في الاختيار للغوص في هموم المجتمعات، والتحديات التي تواجه الإنسان.

(وللغة في عصر المعلومات وانفجار المعرفة موقع الصدارة، وهو ما يفسر في جانب لماذا تحتفي معظم الأمم حاليا بلغاتها القومية وتعيد النظر إليها وتقيم معاهد البحوث المتخصصة لدراسة علاقة هذه اللغات بتكنلوجيا المعلومات؛ ومن جاب آخر يبرز هذا الوضع الجديد مدى حدة أزمتنا اللغوية تنظيرا وتعليما واستخداما وتوثيقا، ولا شك أن أزمتنا تلك سوف تتفاقم تحت ضغط المطالب الملحة لعصر المعلومات، واتساع فجوة اللغة التي تفصل بيننا وبين العالم المتقدم كناتج فرعي لاتساع الفجوة التكنلوجية المعلوماتية). (12)

وهذه الثلمة تتطلب من الإعلاميين مراعاة سلامة الخطاب الإعلامي، والتركيز على حسن الأداء، فمتى كانت اللغة ثرية وجميلة زانت الصورة، واكتسى الأداء طابعا مقنعا في شد المشاهد وأسره.

ويعلل البعض باتهام اللغة العربية بالتخلف والعجز عن تلبية مطالب العصر، فتراه يؤثر الاقتباس من هنا وهناك برطانة وتلعثم، والصحيح أنما نعانيه هو عدم إخضاع تكنلوجيا المعلومات لخدمة اللغة العربية، لا أن نتخم أداء الإعلاييين بمصلحات تقابلها في اللغة العربية مفاهيم معروفة تؤدي الغرض وتوصل المعنى بسلاسة وانسابية دون تكلف.

---

12 ـ لغتنا العربية في معركة الحضارة ـ مصدر سابق ـ ص 297

وباستطلاع رأي المهتمين وإلقاء نظرة على الحراك العلمي والثقافي يتبين الدور الذي تلعبه اللغة في تشكيل وعي وسلوك الأفراد، خاصة إن تم استحضار ذلك وعمله في إعلام عصري راق، لا يتنكر للثوابت ويولي هوية الأمة اهتماما كبيرا، مما يكرس الوحدة ويعلي من قيمة المادة الإعلامية، فيجعلها دسمة وجذابة.

(إن التعايش في مجتمع المعلومات ـ الهادر المتشابك شديد الاندماج ـ يتطلب درجة أعلى من الوعي السياسي والقومي والعلمي، و لن يبلغ هذا الوعي مداه ما لم يسبقه وعي لغوي سليم) (13)

عولمة الإعلام:

تهدف العولمة إلى سرعة الانضاج من اختزال المقررات وضغطها وتنمية القدرات الإبداعية والابتكارية على ضحالة في الرصيد المعرفي وتدمير لملكة الحفظ والاستظهار والمدارسة، وهو ما يتطلب تزويد رجال الإعلام بعدة لغوية أصيلة تمكنهم من التصدي للوافد الجديد بثقة، وتجعلهم ينسجمون مع تكنلوجيا العصر بأمان بوصف اللغة وسيلة المعرفة وصانعة العقل وصنيعته أيضا.

(ولم تعد الثقافة في مجتمع المعلومات نوعا من الكماليات الاجتماعية بل باتت ضرورة أساسية في عصر يتطلب عقلا أكثر قدرة ووعيا أكثر نضجا ووجدانا أشد صلابة، ولن تستطيع نظم التعليم الرسمي مهما بلغت فاعليتها أن تقوم بهذه المهة الصعبة دون سند

من وسائل التعليم غير الرسمي، ونقصد بها الوسائل الثقافية من إعلام جماهيري وغيره). (14)

ولا شك أن اللغة العربية ستظل هي الدرع الواقي أمام جحافل عولمة الإعلام المدججة بأسلحة التأثير والانتشار التي وفرتها لها ثورة المعلومات وشبكة الانترنت، فدور اللغة هنا هو غربلة الخطاب الإعلامي ومراجعته لاكتشاف مكامن الزيف والتضليل، ولإقناع المتلقي بالهادف والمفيد، حتى يدرك عن وعي ما يجري حوله.

---

13 ـ المصدر السابق ـ ص 300

14 ـ نبيل علي ـ نحو نظرة أشمل للغة ـ سلسة قضايا فكرية ـ مصدر سابق ـ ص 296

(وكيف لنا دون لغة يسيرة ومبسطة، ومصطلحات متوفرة ومستساغة، أن ننقل لعقول صغارنا وكبارنا ثقافة العصر العلمية، وما تنطوي عليه من ظواهر ومشاكل نفسية واجتماعية وأمنية). (15)

وعلى الرغم من هجمة عولمة الإعلام، فإن اللغة العربية تبقى كائنا خاضعا للتطور باستمرار، لتلبية احتياجات العصر، فهي تطور مستمر عبر صيرورة تاريخية، منتقلة من جيل إلى جيل، لكن الحفاظ على صلتها الوثيقة بمجتمعاتها في الوطن العربي – زمانا ومكانا- هو مسؤولية إعلاميين مقتدرين، يتكلمونها بطلاقة ويعون أهميتها في مهنتهم.

وهنا يُحسن ابن حزم، حين يُحلل العوامل التي تؤثر في اللغة وتعمل على تبديلها أو اندثارها أو تقسيمها، فيقول:"إن اللغة يسقط أكثرها ويبطل بسقوط دولة أهلها ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم أو بنقلهم عن ديارهم واختلاطهم بغيرهم فإنما يفيد لغة الأمة وعلومها وأخبارها، قوةُ دولتها ونشاط أهلها .... وأما من تلفت دولتهم وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف والحاجة والذل وخدمة أعدائهم، فمضمون منهم موت الخاطر، وربما كان ذلك سببا لذهاب لغتهم ونسيان أنسابهم وأخبارهم وبيود علومهم، هذا موجود بالمشاهدة ومعلوم بالعقل ضرورة). (16)

وهو ما يحيل إلى أن أعظم شعائر الأمم التي تميزهم وعلى أساسها يتباينون هي اللغة، والإعلام في جوهره خادم لهذا الهدف، وهو بحاجة له في الوقت ذاته في حُمَى التقهقر ورياح العولمة.

---

15 ـ المصدر السابق ـ ص 300

16 – ابن حزم ـ الإحكام في أصول الأحكام.

الخاتمة:

تتعزز في عصرنا الحاضر بشكل ملفت المقاربات الداعية إلى تعميق الأصالة الثقافية والدفاع بالتالي عن اللغة العربية، وتتجلى تلك النظرية في مجال الإعلام لما له من خصوبة وتأثير وصناعة، ذلك أن للغة في عصر الاتصال وتدفق المعارف موقعَ الصدارة في جذب المتلقي وإقناعه.

ونخلص أخيرا إلى الاستنتاجات والتوصيات التالية:

ـ أهمية اللغة في توصيل رسالة الإعلام وتأثير خطابه.

ـ أن الدور الذي اضطلعت به اللغة العربية أيام عزتها في واقع الناس وازدهار ثقافتها والتفاعل لاحقا مع مختلف الحضارات واستيعاب الفنون والمعارف، كل ذلك يجعلها جديرة بأن تكون لها مكانتها الآن في عصر التقنية الحديثة وتأثير الكلمة .

ـ إعطاء التحرير والتدقيق اللغوي في المؤسسات الإعلامية قيمة أكبر لكي يخرج الخطاب الإعلامي غضا، من حيث جودة اللغة وبيان وبلاغة المضمون.

ـ الدفع باتجاه بقاء اللغة العربية صمام أمان في وجه عولمة الإعلام المتسلحة بشتى أنواع التأثير والانتشار الذي وفرته لها ثورة المعلومات والشبكة العنكبوتية، باعتبار أن اللغة العربية لغة علم وثقافة ووسيلة تواصل حضاري وثقافي.

ـ العمل على أن تبقى الفكرة والمضمون في الممارسة الإعلامية هما الأصل والغاية، أما الصورة ومختلف الوسائط الإعلامية الأخرى فوسائل تشرُف وترتقي بخدمة الغاية وترسيخ مضمونها.

ـ أن اللغة وجودة الخطاب الإعلامي وحسن أدائه –ثلاثتهم- تخدم عملية التواصل، أما التعلق بالصورة وإيلائها مكانة المضمون فهو قلب للقاعدة وتغليب للشكل على المضمون.

ـ تخصيص مراجع لغوية متخصصة تكون مرجعا للإعلاميين وقواعد لضبط لغتهم، وإعطائهم فرصة لمراجعة ما يطلب منهم تقديمه لغويا وتحريريا.

ـ إخضاع الإعلاميين للتدريب والتكوين المستمر في لغتهم الأم من أجل تفعيل دورهم وتحسين أدائهم حتى تنموَ ملكة الاعتزاز بالانتماء لهذه اللغة ـ محدثة تأثيرا بنيويا عميقا في الإعلام من جهة، وفي الرأي العام من جهة أخرى- وينحسر شبح الاختراق الثقافي وتنفك تالي عقدة الولع بالآخر الغالب من جهة ثالثة.

وبالله تعالى التوفيق

د . التار ولد عبد الله

26 - ربيع الثاني 1434 هـ الموافق: 8 - مارس - 2013